رسالة توجيه واعتبار
إلى جنود الخفاء الأبرار

الشيخ أبو سعد العاملي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الملك الحق المبين ، الذي خلق فسوى وقدر فهدى، وأخرج لعباده من الأرض النعم التي لا تُحصى وأنزل عليهم بركات من السماوات العلى، والصلاة والسلام على رسوله المجتبى وعلى آله وصحبه أولي العقول والنهى ، صاحبوه وناصروه على كل العدا حتى نالوا عند الله الدرجات العلا، ثم أما بعد

فالحديث عن الإخلاص لا ينقطع وما ينبغي له، لأنه عصب كل عمل وعموده الفقري الذي بدونه ينفرط عقده وتتناثر حباته مهما كانت غالية الثمن ونادرة الوجود وصعبة المنال.

فقد يقوم المسلم بأعمال عظيمة فعلاً يعجز عنها أولى العزمات في أحلك وأصعب الساعات، ولكنها بسبب فقدانها لعنصر الإخلاص فإنها تتبخر ولا تؤتي ثمارها، كما لا يبارك الله فيها ولا ينال صاحبها إلا ما ناله من السهر والتعب دون أن يكون له جزاءاً ولا ثواباً عند الله.

نحن لسنا بحاجة إلى مدح وإطراء لكي نؤدي دورنا وواجبنا اتجاه ديننا وأمتنا، فالذي نبتغيه هو رضا الله تعالى، والكثير من الجنود يفضلون أن يبقوا في الظل ووراء الكواليس وفي الخفاء لكي يواصلوا عطاءهم وتضحياتهم في صمت، بعيداً عن أعين الناس وألسنتهم ، وهذا هو قمة التقوى والورع والإخلاص الذي يتمنى أن يبلغه كل مسلم.

ومن جانب آخر يحاول العامل في سبيل الله أن لا يطلب مناصب مسئولية في أي مجال من مجالات الدعوة والإعداد والجهاد، وهو يستحضر جيداً قول نبيه الكريم: " إنا لا نولي هذا الأمر أحداً طلبه" أو كما قال عليه الصلاة والسلام، والحكمة من وراء هذا، هو الابتعاد والزهد في المناصب وتتحقق من ورائه غاية أخرى وأعظم وهو الابتعاد عن الرياء وحب الظهور خوفاً من أن ينقص ذلك من أجره أو يقذف في قلبه بذرة من بذور الكبر والعجب وحب الذات واستحسان العمل، وهي كلها معاول هدم للعمل الصالح الذي يتعب المؤمن من أجل بنائه طمعاً في جني ثمرات أغلى وأسمى وعلى رأسها رضا الله عز وجل والفوز بالجنة والنجاة من النار.

فكل من يسارع إلى اللمعان والبريق في الصفوف الأولى والواجهة الرئيسية لأي عمل، علينا أن نحذر منه ونوليه اهتماماً أكبر وخاصاً فقد يكون مصاباً بداء العجب والرياء، وهذا من باب معالجته والسعي إلى إنقاذه من حظوظ نفسه، كما أنه عمل وقائي للتجمع الإيماني (بمختلف مهامه وتخصصاته) من الاختراق الشيطاني الذي يتسرب إلى الصف فلا يتركه حتى يجعله قاعاً صفصفاً كما يجعل عمل المرء هباءً منثوراً.

في الظروف التي يعيشها أهل الحق والإيمان من حصار شامل محكم وحرب ضروس لا ترحم وخذلان من القريب قبل البعيد والصديق قبل العدو، يتعين على هؤلاء الجنود أن يكون الخفاء هو كهفهم الذي يحتمون فيه وسياجهم الواقي الذي يصدون به هجمات أعدائهم وخصومهم، ويضمنون به استمرار أعمالهم وتضحياتهم.

إن ميادين العمل كثيرة وثغور العطاء عديدة، ليس هناك ثمة شك في أن الطاقات المتوفرة في صفوف المسلمين الصادقين غير كافية نظراً لكثرة المتقاعسين القاعدين وقلة السالكين العاملين، وقد تجد جندياً واحداً يقوم بأكثر من عمل ويقف على أكثر من ثغر ليسد الثغرات الموجودة، وهنا تكون الحاجة ملحة والضرورة أوجب لأن يدخل العامل الصادق في خندق الخفاء، ليس خوفاً من الأعداء بل خوفاً على نفسه من الرياء والخشية من هذه الثغرات على التكاثر والبقاء.

أود هنا أن أركز على أهم الميادين التي يكون فيها العمل الخفي أو السري نافعاً بل مطلوباً، بعكس بعض الميادين التي لا ينفع فيها ولا يعطي أي مردود بل يستحيل.

أولاً: ميدان السند والدعم

وهو إعداد كل ما يلزم في ساحات القتال، وكل ما يحتاجه المجاهد المقاتل من عتاد ومال ومئونة وحتى خبرة قتالية وأمنية، ويدخل في ذلك المدد البشري أي توفير الجنود المقاتلين وما يسبقها من عملية استقطاب ثم تربية وإقناع وتدريب قبل إيصالهم إلى الثغور.
هؤلاء الجنود ينبغي أن يبقوا في الخفاء حتى بالنسبة لمن لهم بهم علاقة جهادية وحركية، من قبيل التعامل بأسماء مستعارة وعدم معرفة سكنهم وأماكن تواجدهم وأحياناً يتطلب الأمر تخفي الوجه أثناء الاتصال أو فترات التدريب والتكوين والتأطير.

هؤلاء يمكننا تسميتهم بالمدربين أو المؤطرين أو المربين، وهم قلة في التنظيمات، ولكنهم يشكلون عصب التجمع وعموده الفقري، ومنبعاً للجنود الجدد بما لديهم من خبرات متراكمة ومعارف واسعة وتقنيات نفيسة يحتاجها الجنود في كل مرحلة من مراحل جهادهم.

هؤلاء لهم حياة خاصة ونظام متميز وفريد، وقدرات كبيرة على التكيف مع متطلبات الواقع وتغيير الأماكن والملامح حسب الطلب والحاجة، وهم معرضون للخطر أكثر من غيرهم ولا يُسمح لهم بالخطأ إلا نادراً لأن أخطاءهم لها وقع كبير وعظيم على مسيرة العمل كلها.

فهؤلاء ليسوا بحاجة إلى نصح وترشيد بل فقط إلى تذكير بأنهم قائمون على ثغر عظيم وبأن فتورهم أو تهاونهم سيؤدي إلى هدم كل البنيان المرصوص، ومن أجل هذا فهم مطالبون دوماً بأن يتقوا الله أكثر من غيرهم، وبأن يلجأوا إليه أكثر من غيرهم في العبادة والتقرب إليه بالطاعات والإكثار من النوافل حتى يكون سندهم الرئيس فلا يعتمدوا على جهودهم وأسبابهم المادية فحسب. لأن أمثالكم مؤيدون من رب العزة والجلال، فهو الذي يحفظكم ويهديكم سبل الأمن والسلام، وهو الذي يسدد رميكم ويثبت أقدامكم ويوفقكم في كل أموركم، كما يبعد عنكم عيون أعدائكم ويلهمكم الرشاد والسداد في كل أعمالكم، فلا تقطعوا هذا الحبل الممتد بينكم وبين ربكم، بل سارعوا دوماً إلى توثيقه وتقويته لتكونوا من الناجين برحمته والمنتصرين بعونه ومدده.

ويدخل في هذا الميدان أيضاً أصحاب الدعم المالي وهو الركيزة الأساسية للعمل الجهادي، فهؤلاء الجنود يظلون في الخفاء لأسباب لا تخفى على كل ذي لب، وقيمتهم المضافة لا ينكرها عاقل، مما يستوجب علينا المحافظة على سريتهم وعدم كشفهم لأي سبب من الأسباب، ومن المصلحة أن لا تكون لهم أي اتصالات أو علاقات مع باقي الجنود بل وحتى مع الكثير من القادة والمربين.

لأمثال هؤلاء نوجه كلمة شكر وتقدير، ونحثهم لبذل المزيد من الحذر، والتخفي ومواصلة الدعم بما تجود به أنفسهم وبما أنعم الله عليهم حتى لا تعلم شمالهم ما أنفقت يمينهم وهو تعبير قمة في ابتغاء الإخلاص والابتعاد عن الرياء كما يبتعد المؤمن عن النار.

أصحاب الدعم اللوجستي وهو ميدان متشعب وواسع ويتطلب متابعة دائمة وأشخاص يتمتعون بدراية وعلم وحكمة وذكاء من اجل استغلال كل الوسائل المنتشرة في الساحة لخدمة مشروع نهضة الأمة ويكون رأس حربتها المشروع الجهادي بكل اختصاصاته.

هؤلاء الجنود متواجدون في كل المجالات وفي كل الميادين، ولا يعلم أحد عن هوياتهم وأهدافهم وغاياتهم شيئاً، كما لا يأبه لهم الذين يحتكون بهم ويشتغلون معهم على مدار الساعة، إنهم جنود أخفياء بامتياز، ويقدمون خدمات متواصلة للمشروع الجهادي، ويهيئون كل ما تحتاجه أجنحته المتعددة من وسائل عمل وبرامج ومعدات.

هم متواجدون في جبهات القتال وراء إخوانهم المجاهدين، يمدونهم بكل ما يلزم لتفعيل وتنفيذ أعمالهم الجهادية، كما أنهم متواجدون بعيداً عن هذه الجبهات، ولعلهم في وسط مؤسسات الأعداء يقومون بأعمالهم في سر وخفاء، بمنتهى الدقة والإخلاص، لا يشعر بهم إلا خالقهم، لله درهم وعلى الله أجرهم.

ثانياً: ميدان الإعلام

ولجنود الخفاء في الإعلام الجهادي أقول:

أنتم بدوركم ما تواجدتم هنا على هذا الثغر إلا للمساهمة في رفع جزء من هذا الحصار المضروب على إخوانكم في مختلف الثغور، إن رباطكم على ثغر الجهاد الإعلامي يعتبر جهاد بالبيان وهو الوجه الآخر للجهاد بالسنان، فلا تستهينوا بما تقومون به من أعمال جليلة

عظيمة قد تبدو لكم هزيلة حقيرة، وتعتقدون بأن الجهاد في ساحات القتال هو الوسيلة الوحيدة لإيلام العدو ونصرة الدين، كلا والله، فأنتم ردء لإخوانكم وعون لهم، وتواجدكم على جبهات الإعلام والدعوة يعطي قوة لجبهة القتال ويبث الرعب في قلوب أعدائكم كما يبث الطمأنينة والثقة في قلوب إخوانكم، لأنهم يعلمون أن وراءهم جنود يحمون ظهورهم ويملأون الثغرات التي لا يستطيعون ملأها والقيام بالواجبات والأعمال التي تكمل جهادهم وتسقي بذوره لكي يعطي ثماره المنتظرة.

أنتم جنود وهم جنود، تأتمرون بأوامر قياداتكم وهي أدرى بمن يصلح على ثغر القتال وبمن يصلح على ثغر الدعم والإسناد والذي يمثل ميدان الإعلام أهم جوانبه وأخطرها على الإطلاق في هذا العصر.

هذا لا ينفي أن تكونوا قد تلقيتم دورات إعداد على فنون القتال ولو في مجال الدفاع، فلا تنسوا أنكم مطاردون ومستهدفون من قبل العدو مثلما يستهدف إخوانكم في ساحات القتال، وينشر جنوده وخفافيشه لكي يتتبعوا خطواتكم ويتابعوا أنشطتكم أملاً في الإيقاع بكم، وأنتم بالمقابل لابد أن تأخذوا حذركم وتتسلحوا بما يلزم لإبطال خططه ومكائده ونسف شراكه.

إن ما تساهمون به من أعمال لا تدركون أهميتها إلا حينما ترون ثمارها على أرض الواقع وانتشارها في الآفاق تعطي ثمارها يانعة في النفوس، وهي أعمال تدعم ميدان الدعوة في الدرجة الأولى والتأثير على النفوس بما تبدعونه من أعمال مختلفة قد تكون أغنى وأبلغ وأنجع من ألف خطاب ، أو أولئك الذين يساهمون في إعداد مونتاج أو تفريغ لمادة مسموعة أو مرئية ، وهذه الأعمال تكون سنداً وعوناً ووجهاً آخر للمادة التي نود نشرها، ولا تتم الصورة إلا بعملكم أنتم ، ولا تنسوا دوركم أيضاً في البنرات المتحركة وما تحدثه من تأثير وتفاعل من طرف القارئ والمشاهد حتى قبل أن يقرأ أو يستمع إلى المادة المنشورة، فالكتاب يُقرأ من عنوانه كما يقال، ونحن نقول أن المادة المنشورة (مقروءة أو مسموعة أو مرئية) تُقرأ من خلال الغلاف أو البنر المتحرك المصاحب لها.

أنتم يا أبطال المونتاج ، يا من تجمعون عمليات إخوانكم القتالية وضرباتهم القاتلة المزلزلة لأعدائهم في شريط مصور ومحترف، لا تدرون مدى تأثيره على نفوس أعدائكم ومساهمته في نسف ما تبقى من معنوياتهم وما يزرعه من رعب وهلع في نفوس شعوبهم التي تحرص على الحياة كما تحرصون أنتم ومجاهدوكم على الموت تحت ظلال السيوف وتحت أزيز الرصاص ودوي المدافع.

ولا تدرون أيضاً مدى الفرح والسرور والسعادة التي تُدخلونها على قلوب المسلمين بهذه الإصدارات وتعمل عملها في نفوس الناس، والله تعالى يباركها وينميها ويربيها وأنتم لا تعلمون.

هناك أعمال جليلة وغاية في الأهمية تنتظركم ، وأنتم لابد أن تكونوا على أهبة الاستعداد لإنجاز كل ما ينتظركم، وقد تكونوا سبباً في تأخير بعض الإصدارات لا سمح الله ، وهذا من التهاون والفتور الذي قد يصيب النفوس، أقول: إنه لا يجوز لكم أن تفتروا وأنتم على هذا الثغر العظيم، ولا ينبغي لكم أن تتهاونوا وتتثاقلوا عن إنجاز أعمالكم ، فأنتم الواجهة مثلما هي أعمالكم، والجنود الأخفياء الذين لا تظهر إلا أعمالهم ، وهذا من رحمة الله بكم وفضله عليكم، حتى لا تخالج نفوسكم مثقال ذرة من رياء، هذا الشرك الخفي الذي يصيب النفوس وقد كفاكم الله شر تلك الحرب الخفية بينكم وبين الشيطان .

هناك الكثير من الأعمال في لائحة الانتظار والناس بحاجة إليها أكثر من حاجتهم إلى الأكل والشراب، فبها تحيى أرواحهم وتقوى عزائمهم وتُشحذ هممهم وترتقي نفوسهم ليقوموا بواجباتهم التي أهملوها وكُبلوا عن أدائها.

ويبقى دوركم هو العمل عليها بكل إخلاص وقد وضع القائمون على هذه المنابر والمؤسسات الإعلامية نصب أعينهم الغايات السامية التي ستحققها هذه الأعمال، وبعدها سيهون كل صعب وسيحلو كل تعب وستسعون جميعاً إلى إنجاز هذه الأعمال بتنافسية وسعادة لا توصف ، وهذا ما نرجوه ونسعى إلى الشعور به في كل أعمالنا بحول الله.

هكذا يتحول العمل في صمت إلى وسيلة فعالة وقوة دفع للعمل الجاد، بعيداً عن الأعين فيكون المردود عالياً والنتائج طيبة بإذن الله وقوته.

أيها الجنود الأخفياء، زيدوا من خفائكم وضاعفوا من عطائكم حتى تزداد أعمالكم إخلاصاً وثماركم جودة ونقاءً، اعملوا لربكم وثقوا أنه سبحانه سيخصكم بمدد من عنده وتوفيق لا يؤتاه غيركم.

فأكثر الناس يبغون الظهور والأجور بينما أنتم تتوارون عن الظهور وتحبون أن تعملوا من وراء الظهور، ابتغاء مرضاة ربكم وطمعاً في ما عند الله العزيز الغفور.

هناك ميادين أخرى لم أذكرها،لاشك حديثنا يطال جنودها ويخصهم، وفي كل يوم تظهر جبهة جديدة وجنود أخفياء جدد لتلبية متطلبات المشروع الجهادي الكبير والعظيم والواسع، لابد أن يكون الموحدون في مستوى التحديات القائمة، ويسارعوا إلى تغطية كل الثغرات والوقوف على كل الثغور المطلوبة، وأحسبني ذكرت أهم هذه الجبهات، لعل الله ينفع بما تقدمت به بين أيدي إخواني من توجيه ونصائح ويبارك فيها وتكون تذكيراً لهم على مواصلة الطريق، فنحن نحسبهم أدرى بما يحتاجون إليه وأقدر على الخروج من كل وضعية مهما كانت صعبة، بفضل الله وحده وحسن توكلهم عليه سبحانه.

وبارك الله في أعمالكم وجهودكم، ونسأله سبحانه أن يبارك في القليل الدائم وأن يعيذنا من الكثير المنقطع، ويزكي أنفسنا بمزيد من الإخلاص والقناعة والزهد في زهرة الحياة الدنيا وما في أيدي الناس من متاع قليل.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله الأطهار وصحبه الأخيار ، والحمد لله رب العالمين.

أخوكم : أبو سعد العاملي - غفر الله ولوالديه - محرم /١٤٣٤ هـ.